

## هموم اللغة الفصحى

### حوار مع الدكتور يوسف شحدة الكحلوت

بداية نترك اللغة العربية تقدّم شكايتها وتبث همومها من خلال قصيدة حافظ إبراهيم التي قال فيها :

وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْتَسَبْتُ حَيَاتِي  
عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي  
رَجَالًا وَأَكْفَاءَ وَأَدَّتْ بِنَاتِي  
وَمَا ضِيقَتْ عَنِّي بِهِ وَعِظَاتِي  
وَتَنَسَّقُ أَسْمَاءَ لِمُخْتَرَعَاتِي  
فَهَلْ سَأَلُوا الْعَوَاصِ عَن صَدَقَاتِي  
وَمِنْكُمْ وَإِن عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي  
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَنَّ وَفَاتِي  
وَكَمْ عَزَّ أَقْسَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِي  
فِيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ  
يُنَادِي بُوَادِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي  
إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرِوَاةِ

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَّهَمْتُ حَصَاتِي  
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي  
وَلِدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي  
وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً  
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَن وَصْفِ آلَةٍ  
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْسَانِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ  
فِيَا وَيَحْكُمُ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي  
فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي  
أَرَى لِرِجَالِ الْعَرَبِ عِزًّا وَمَنْعَةً  
أَتُوا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنَّنَا  
أُيْطِرُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْعَرَبِ نَاعِبٌ  
أَيُهْجِرُنِي قَوْمِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ

#### ١ - ما خطورة ضعف الطلبة في اللغة العربية ؟

اللغة وعاء الفكر وأسلوب التواصل ، وأداة التعبير ، بها تقوم الحضارات ، وتتشكل الثقافات ، ولغتنا العربية هي الجسر الذي يربط ماضيها المشرق الزاهر بمستقبلنا الواعد ، وأي انقطاع في هذه الصلة هو انقطاع وانفصال عن جذورنا وتاريخنا وديننا ، والأمة التي تنقطع عن جذورها وتاريخها وفكرها هي أمة مهزومة مهزوزة يختلط لسانها بلسان غيرها فتصبح هجينة فلا هي باقية على أصالتها ولا هي لاحقة بغيرها من الأمم المتقدمة ، من هنا تكمن خطورة الضعف في اللغة العربية ، فالطالب الضعيف ينشئ أجيالاً ضعافاً في المستقبل ، مهما كان تخصصه ؛ لأن اللغة تعد معيناً يحمل العلوم المختلفة ، فإذا كان المعين ضعيفاً فإن الضعف يلحق بالمواد المنقولة .

كما أن الخطورة تكمن في صعوبة الصلة بالقرآن الكريم الذي يمثل أرقى مراتب اللغة وما يترتب عن ضعف الصلة بالقرآن الكريم من نقص في العبادة والسلوك .

#### ٢ - بم تفسر إهمال الطلبة للغة العربية ؟

الأمر واضح ، وهو أن الطالب غير واع لخطورة هذا الأمر ، كما أن البيت والمدرسة والبيئة التي يعيش فيها الطالب لها الأثر الفاعل في توعية الطالب بأهمية اللغة وأثرها في تكوين شخصيته وصقل ثقافته وفكره ، فإذا لم يجد الطالب هذا الاهتمام وهذا الوعي في البيئة التي يعيش فيها ؛ فإنه من الطبيعي سيكون لديه إهمال في تعلم اللغة أو الاهتمام بها . هذا بالإضافة إلى الاستسلام للدعايات التي تشكل سهاماً موجهة إلى اللغة العربية ، فما يقال عن صعوبة اللغة العربية كتابةً ورسماً وقواعداً ونحواً وصرفاً ليس إلا من الإصابات الخطيرة التي تحاول المس من اللغة

#### ٣ - من المسئول عن نفور الطلبة من اللغة ؟

المسؤولون كثر فمنهم :

- الأهل الذين لا يشجعون أبناءهم على التحدث باللغة الفصحى أو الاهتمام بها .  
- المدرسة من خلال اهتمامها بحصص العلوم التطبيقية وإغفالها حصص العلوم الإنسانية ومن ضمنها اللغة العربية .

- المعلم بعدم إعطائه اللغة العربية بكفاءة مشوقة فضلاً عن ضعفه في اللغة في الكثير من الأحيان وعرضها بطرق تقليدية بالية .
- المجتمع الذي يشجع اللهجات المحلية وينظر إلى من يتحدث باللغة الفصحى نظرة استغراب واستهزاء .
- وسائل الإعلام التي تكثر فيها الأخطاء في نطق اللغة وبعضها يعتمد العامية مرتكزاً لبرامجه ، وهنا نسجل نقطة امتنان للفنانيات الإسلامية التي تقدم صوراً كرتونية بلغة فصيحة شيقة ومحبية للأطفال .
- الطالب نفسه بعزوفه عن تنمية قدراته اللغوية والبلاغية من خلال القراءة والاطلاع والبحث .

٤ - هل مناهج اللغة العربية المقررة في مدارسنا الفلسطينية مناسبة أم أنها المتهم الأول في هذه القضية؟ هي متهمة ضمن منظومة المتهمين فالمناهج في أغلبها لا تتوافق وقدرات الطالب العقلية ، مما يحدث فجوة وقتور في رغبة الطالب في التعلم ، كما أن كمية المناهج المقررة كبيرة جداً وليس بوسع الطالب أن يتلقى هذا الكم الهائل من المعلومات ، مما يفقده الثقة بنفسه وبمناهجه .

٥- كيف تصف إقبال الطلبة على الالتحاق بأقسام اللغة العربية ؟ شهدت السنوات الأخيرة إقبالا ملحوظاً على قسم اللغة العربية ، وخاصة في الجامعة الإسلامية ، حيث ارتفع عدد المقبولين في العام الماضي ٢٠٠٣-٢٠٠٤م بما يعادل ٩٠% عنه في السنوات السابقة ، ويرجع ذلك إلى الحوافز التي تقدمها كلية الآداب في الجامعة ، وإلى حاجة سوق العمل لخريجي اللغة العربية ، وخاصة الذكور منهم ، فمرحلة العزوف والحمد لله انتهت ، ونحن الآن نشهد إقبالا وزخماً طلابياً رائعاً ، كما أن افتتاح برنامج الماجستير والإعداد لفتح برنامج الدكتوراه شجع الطلبة على الإقبال على هذا القسم ؛ لأن مستقبل الدراسات فيه مشرق

٦ - برأيك ما السبيل إلى علاج هذه المشكلة ؟ وكيف يمكن أن يتعلم الطلبة اللغة العربية بكل سهولة ، وعلى وجه الخصوص مادة النحو العربي ؟

أولاً لا بد للأجيال أن تستوعب أن ضعفها لغوياً ملازمٌ لجهلها وأميتها ، ومن يقبل لنفسه أن يبقى جاهلاً أو أمياً؟! لذا عليها أن تأخذ بالأسباب وتسعى لتجديد لغتها وإحيائها على الألسنة ، وأيسر السبل لذلك هو اللجوء والعودة إلى القرآن الكريم وتدبر معانيه ، فهو الذي منح اللغة قوتها ، ودعم أساس بنائها ، وثبت أركانها . ثم المسؤولية تقع على واضعي المناهج بأن ينتقوا ما يتوافق وقدرات الطالب العقلية وتقديمتها بأسلوب شيق يصل الماضي بالحاضر ، والتقليل من الكم الهائل للمنهاج الذي يصيب الطالب بالعجز والإحباط . وأنا أتفق أن هناك مشكلة في تعليم النحو العربي ، ولا بد من علاج لهذه المشكلة بإعادة صياغة منهاج النحو بطريقة تلائم روح العصر ، والبعد عن الأوجه النحوية الشائكة التي لا فائدة منها ولا لزوم لها في حياتنا اللغوية ولا تزيد اللغة إلا تعقيداً وجموداً ، فمثل هذه الوجوه أبعد ما تكون نحوًا وظيفيًا فضلاً عن أنها تسبب إزعاجاً للمتخصصين . ويمكن حل مشكلة النحو باستخدام المطبوعات الحديثة والتقنيات التكنولوجية في عرض قواعد اللغة ، ومن أمثلة ذلك أطلس النحو العربي الذي نشر في مصر ، وفيه تقديم لقواعد اللغة بطريقة سلسلة ميسرة .